International Jordanian Journal Aryam for Humanities and Social Sciences; IJJA
Volume 6, Issue 2, 2024

The Novel and the Question of Identity

Dr. Redouane Slimani

Received: 5/3/2024
Revised: 9/4/2024
Accepted: 19/5/2024
Published online: 23/6/2024
https://doi.org/10.65811/628
* *Corresponding author:*
Email: reddjelida44@gmail.com

Citation: *Slimani. R. (2024). The Novel and the Question of Identity. International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA, 6(2).*

©2024 The Author(s). This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) license. https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences: Issn Online 3006-7286

Abstract: This study examines the issue of identity in contemporary Algerian fiction through an analysis of The Outcasts of Birds by Ismail Yabrir. Drawing on philosophical and critical perspectives, identity is approached as a dynamic construct shaped through interaction between the self and the other rather than a fixed essence. The research explores the manifestations of identity within the narrative discourse by analyzing characters' transformations—particularly religious, social, and linguistic shifts—and the tensions between belonging and alienation. The study concludes that the novel proposes an open, humanistic vision of identity grounded in plurality and dialogue, while rejecting rigid and exclusionary identity models.

Keywords: Identity, contemporary Algerian novel, self and other, identity transformation, cultural coexistence, narrative discourse.

الرواية وأسئلة الهوية

د. رضوان سليماني

الملخص: يتناول هذا البحث إشكالية الهوية في الرواية الجزائرية المعاصرة، من خلال دراسة رواية منبوذو العصافير للروائي إسماعيل يبرير. وينطلق من مقاربة فلسفية ونقدية لمفهوم الهوية، باعتبارها بناءً ديناميًا يتشكل عبر التفاعل بين الذات والآخر، لا معطًى ثابتًا. ويسعى البحث إلى الكشف عن تمظهرات الهوية داخل الخطاب السردي، من خلال تحليل تحولات الشخصيات، ولا سيما التحول الديني والاجتماعي واللغوي، وما يرافقه من توتر بين الانتماء والاغتراب. ويخلص إلى أن الرواية تطرح تصورًا إنسانيًا منفتحًا للهوية، قائمًا على التعدد والحوار، ورافضًا للهويات الضيقة والمغلقة.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الرواية الجزائرية المعاصرة، الذات والآخر، التحول الهوياتي، التعايش الثقافي، الخطاب السردي.

المقدمة

يُعدّ سؤال الهوية من أكثر الأسئلة إلحاحًا في الفكر الإنساني، لما ينطوي عليه من تعقيد فلسفي وثقافي واجتماعي. فقد ارتبط مفهوم الهوية منذ بدايات التفكير الفلسفي بمحاولة الإنسان فهم ذاته وتحديد موقعه داخل العالم. ففي الفلسفة اليونانية، دعا سقراط إلى معرفة الذات بوصفها مدخلًا للحكمة، بينما اعتبر هيغل أن وعي الأنا لا يتحقق إلا من خلال الجدل والتقابل مع الآخر، حيث تتعرف الذات على نفسها عبر الصراع والتناقض. ومن هذا المنطلق، تشكّلت الهوية باعتبارها مفهومًا ديناميًا لا يقوم على الثبات المطلق، بل على التفاعل المستمر بين الذات والغير.

ولم يظل هذا السؤال حبيس التأمل الفلسفي، بل انتقل إلى الحقول الإنسانية المختلفة، ليحتل مكانة مركزية في علم الاجتماع، وعلم النفس، والدراسات الثقافية، وصولًا إلى النقد الأدبي. وقد غدت الرواية، على وجه الخصوص، الفضاء الأرحب لتمثيل إشكاليات الهوية، لما تمتلكه من قدرة على تصوير التحولات النفسية والاجتماعية والتاريخية التي يعيشها الإنسان. فالرواية لا تكتفي بسرد الأحداث، بل تكشف عن صراعات الذات، وقلق الانتماء، وتمزق الهوية، خاصة في المجتمعات التي عرفت الاستعمار، والهجرة، والتعدد الثقافي.

وتكتسب مسألة الهوية بعدًا خاصًا في الرواية الجزائرية المعاصرة، نظرًا للخصوصية التاريخية التي عرفها المجتمع الجزائري، حيث خلف الاستعمار الفرنسي آثارًا عميقة في البنية الثقافية واللغوية والدينية، ما جعل سؤال الانتماء والذات والآخر حاضرًا بقوة في المتخيل الروائي. وقد سعت الرواية الجزائرية إلى مساءلة هذه الإشكاليات من خلال شخصيات تعيش الاغتراب، أو التحول، أو الصراع بين هويات متعارضة.

وانطلاقًا من هذا الإطار، يتناول هذا البحث تمظهرات الهوية في رواية منبوذو العصافير للروائي الجزائري إسماعيل يبرير، باعتبارها نصًا سرديًا يعالج التحول الهوياتي من خلال تجربة التعايش مع الآخر، وما يرافق ذلك من قلق وانكسار وإعادة تشكل للذات. ويسعى البحث إلى الإجابة عن الإشكالية الآتية:

كيف تتجلى الهوية في رواية منبوذو العصافير؟

وما الأبعاد الدينية، واللغوية، والاجتماعية التي تسهم في بنائها داخل الخطاب السردي؟

ولتحقيق ذلك، اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي، الذي يتيح رصد مظاهر الهوية في النص الروائي وتحليلها في ضوء الخلفية الفلسفية والنقدية، مع الاستناد إلى الشواهد السردية الدالة.

أولًا: ماهية الهوية: الهوية لغة الهوية مشتقة من السؤال: «من هو؟»، وهي تفيد التعيين والتمييز. فالهوية، في أصلها اللغوي، تشير إلى ما يجعل الشيء هو هو، أي ما يمنحه خصوصيته ويُميّزه عن غيره.

وتُستعمل الهوية في معناها الشائع للدلالة على مجموعة السمات التي تحدد انتماء الفرد، مثل الاسم، والجنسية، والدين، واللغة. غير أن هذا المعنى السطحي لا يستنفد دلالة الهوية، إذ إن الهوية الحقيقية لا تُختزل في وثيقة رسمية أو تعريف خارجي، بل تتجسد في الأفعال، والسلوكيات، والاختيارات التي تعكس انتماء الإنسان ووعيه بذاته.

الهوية اصطلاحًا

اصطلاحًا، تُعرّف الهوية بأنها تطابق الذات مع نفسها عبر الزمن، وقدرتها على الاستمرار رغم التحولات. وهي بذلك مفهوم مركزي يرتبط بالثبات من جهة، وبالتغير من جهة أخرى. فالهوية ليست معطىً ثابتًا ونهائيًا، بل هي بناء متجدد يتأثر بالسياق الاجتماعي والثقافي والنفسي. كما تطرح الهوية إشكالية العلاقة بين الوحدة والتعدد، إذ يسعى الإنسان إلى الحفاظ على تماسك ذاته، رغم تعدد الأدوار والانتماءات التي يعيشها.

وفي بعد آخر، ترتبط الهوية بالانتماء الجماعي، حيث تتشكل داخل إطار اجتماعي وثقافي محدد، فتغدو تعبيرًا عن وعي جماعي مشترك. وهنا تتداخل الهوية الفردية مع الهوية الجمعية، في علاقة جدلية تجمع بين الخصوصية والاندماج.

ثانيًا: البعد الفلسفي للهوية

حظي مفهوم الهوية باهتمام كبير في الفلسفة، حيث ارتبط بمسألة الواحد والكثرة، والثبات والتغير. فقد رأى أفلاطون أن الهوية تقوم على المماثلة والوحدة، غير أن هذه الرؤية اصطدمت بإشكالية الغيرية، إذ لا يمكن إدراك الذات إلا عبر الاعتراف بالآخر. وقد تطورت هذه الإشكالية مع الفلسفة الحديثة، خاصة عند هيغل، الذي اعتبر أن وعي الذات لا يتحقق إلا من خلال الصراع مع الآخر، في جدلية السيد والعبد.

غير أن هذه الجدلية لم تحل الإشكال بشكل نهائي، إذ ظل سؤال العلاقة بين الأنا والآخر مطروحًا، خاصة في ظل التحولات الاجتماعية والثقافية. وقد أسهمت الفلسفة المعاصرة في إعادة النظر في مفهوم الهوية، معتبرة إياها بناءً سرديًا يتشكل عبر التجربة، وليس جوهرًا ثابتًا. ومن هنا، غدت الهوية مفهومًا مفتوحًا على التحول والتعدد، لا ينفصل عن السياق الذي يتشكل فيه.

ثالثًا: الرواية الجزائرية المعاصرة وسؤال الهوية

تُعدّ الرواية الجزائرية المعاصرة من أبرز الأجناس الأدبية التي انشغلت بسؤال الهوية، نظرًا لارتباطها الوثيق بالتاريخ الاستعماري وما خلّفه من انكسارات ثقافية. فقد تناولت الرواية الجزائرية قضايا الانتماء، واللغة، والدين، والذاكرة، والاغتراب، من خلال شخصيات تعيش صراعًا داخليًا بين ماضٍ مثقل بالذاكرة وحاضر مأزوم بالتحولات.

وقد تحولت الرواية إلى فضاء نقدي يعيد مساءلة المفاهيم الجاهزة للهوية، رافضًا اختزال الإنسان في انتماء واحد أو تعريف مغلق. وبذلك، أسهمت الرواية الجزائرية في تقديم رؤية مركبة للهوية، تقوم على التعدد والتفاعل، لا على الإقصاء والانغلاق.

رابعًا: تمظهرات الهوية في رواية منبوذو العصافير

تتجلى الهوية في رواية منبوذو العصافير من خلال شخصية «مارك»، الذي يعيش تجربة تحول هوياتي عميقة. فمارك، القادم من خلفية أوروبية، يجد نفسه منجذبًا إلى بيئة ثقافية ودينية مختلفة، ما يدفعه إلى اعتناق الإسلام والزواج من امرأة عربية. هذا التحول لا يعكس مجرد تغيير ديني، بل يشير إلى بحث عميق عن الذات والانتماء.

ويمثل تغيير الاسم من «مارك» إلى «مالك» لحظة رمزية في مسار التحول الهوياتي، إذ يعلن القطيعة مع الهوية السابقة، والانخراط في هوية جديدة. غير أن هذا التحول لا يتم دون توتر، إذ تظل آثار الهوية الأولى حاضرة، سواء في اللغة أو في نظرة الآخرين إليه. وهنا تبرز إشكالية التعايش بين الهويات، حيث لا تُمحى الهوية السابقة تمامًا، بل تظل كامنة في الذاكرة.

كما تتجلى الهوية في شخصية «خديجة»، التي تشهد بدورها تحولًا اجتماعيًا وثقافيًا، إذ تنتقل من امرأة تقليدية إلى فاعلة في المجال الاقتصادي، مكتسبة هوية جديدة من خلال التفاعل مع المجتمع. غير أن هذه الهوية تظل مرتبطة بنظرة الآخرين، الذين يربطونها بأصل زوجها، ما يعكس هيمنة الهوية الجمعية على الفرد.

وتكشف الرواية، من خلال هذه الشخصيات، عن هشاشة الهوية، وعن كونها بناءً اجتماعيًا يتشكل عبر الاعتراف والرفض، والانتماء والإقصاء. كما تبرز دور الآخر في تشكيل وعي الذات، إذ لا يمكن للشخصيات أن تدرك هويتها إلا عبر التفاعل مع محيطها.

الخاتمة

خلص هذا البحث إلى أن رواية منبوذو العصافير تقدم تصورًا مركبًا للهوية، يقوم على التحول والتعدد، لا على الثبات والانغلاق. فقد كشفت الرواية عن أن الهوية ليست معطىً جاهزًا، بل سيرورة تتشكل عبر التجربة، والتفاعل مع الآخر، والاختيار الفردي. كما أبرزت أن التعايش مع الآخر شرط أساسي لإدراك الذات، وأن الانغلاق الهوياتي يؤدي إلى الاغتراب والضياع.

وتؤكد الرواية رفضها للهويات الضيقة التي تختزل الإنسان في اسم أو مكان أو أصل واحد، داعية إلى تصور إنساني للهوية، يقوم على الانفتاح والتفاعل. وبذلك، تسهم منبوذو العصافير في إثراء النقاش حول الهوية في الرواية الجزائرية المعاصرة، مقدمة رؤية نقدية تتجاوز الثنائيات الجامدة، نحو أفق إنساني أرحب.

قائمة المراجع

بن سالم، عبد القادر. (٢٠٠٩). السرد وامتداد الحكاية (قراءة في نصوص جزائرية وعربية معاصرة). الجزائر: منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين.

بينيت، طوني، وآخرون. (٢٠١٠). مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع (ترجمة سعيد الغانمي). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

عبد الكافي، اسماعيل عبد الفتاح. (د.س). معجم مصطلحات عصر العولمة (مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية). ددن: دب، دط.

المسيري، عبد الوهاب، والتركي، فتحي. (٢٠١٠). الحداثة وما بعد الحداثة. دمشق: دار الفكر.

يبرير، اسماعيل. (٢٠١٩). منبوذو العصافير. الجزائر: حبر للنشر.